واتجه أيضاً إلى بناء المرافىء في سوريا ولبنان، وكذلك إلى تأسيس فروع للبنوك الهامة في عموم المنطقة، بما فيها فلسطين. وأهم هذه البنوك: البنك العثماني، البنك الالماني (Deutsche Bank)، بنك أسسته كتلة يهودية في سالونيك عام ١٨٨٨، وآخر يهودي أيضاً، عرف باسم الشركة الانكليزية الفلسطينية. وقد انشئت له فروع عديدة في فلسطين؛ وهو بنك صهيوني لعب دوراً أساسياً في تمويل مشاريع الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين.

ولما كانت الامبراطورية العثمانية، في نهايات القرن التاسع عشر، تعاني من تناقضات داخلية سياسية واجتماعية لا يستهان بها، أسهمت كثيراً في تصدعها وتحلل مجمل أوضاعها، فقد سهّل هذا الوضع على الدول الامبريالية الصاعدة، بسط نفوذها الفعلي على مجمل أوضاع الامبراطورية. وقد انعكس هذا كله، بالضرورة، على أوضاع المناطق العربية التابعة للامبراطورية؛ حيث تحملت هذه المناطق قسطاً وافراً من مخلفات العهد العثماني ومن بصماته المتخلّفة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي[٧]، مما كان له كبير الأثر على مجمل التطورات السياسية في المناطق المذكورة، في الفترة التاريخية، اللاحقة، أي الفترة التي احتدم فيها صراع الامبرياليات الاوروبية وتنافسها على اقتسام الولايات العربية، في سياق اعادة اقتسام العالم مناطق نفوذ فيما بينها. وفي هذا الصدد، يعتبر لوتسكي التدخل الانكليزي واستسلام محمد علي سنة ١٨٤٠* ، بداية «عهد تغلغل الرأسمال الأجنبي في المنطقة العربية». ويرى في ذلك «فاتحة الاستعباد الاستعماري للمنطقة العربية وعهد تبعيتها الاقتصادي»[٨]. ويضيف بأن النتيجة المنطقية لهذا العهد تتمثل بتحويل المناطق العربية إلى مستعمرات. وقد استكمل هذا العهد، فعلاً، في المرحلة التاريخية اللاحقة، مرحلة تكون رأس المال الاحتكاري وسيطرته.

وقد احتلت المناطق العربية موقعاً خاصاً في مخططات الامبرياليات الاوروبية، وكانت، لهذا، ساحة تنافس حاد بين الامبرياليتين الفرنسية والبريطانية على وجه الخصوص. نظراً لما لهذه المناطق من أهمية بالغة في المجالين، الاستراتيجي العسكري والاقتصادي (طرق المواصلات، المواد الخام، والموقع الجغرافي الهام كنقطة ربط بين ثلاث قارات: آسيا، افريقيا واوروبا). هذا الصراع على النفوذ، سُوّي، آنذاك، إلى حين، باقتسام منطقة الشرق الأدنى مناطق انتداب كولونيالي بين فرنسا وبريطانيا في مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠.

---

* في السابع والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٤٠، وتحت ضغط فوهات المدافع الانكليزية، وقع محمد علي اتفاقية أجليت، بموجبها، قواته عن سوريا وفلسطين. وقد تمكن الانكليز من فرض الاتفاقية عليه بموجب اتفاق مسبق بين الدول الكبرى (انكلترا، النمسا، روسيا، بروسيا، وتركيا) في مؤتمر السفراء، المنعقد في لندن، ١٥ تموز (يوليو) ١٨٤٠ واعتبرت هذه الاتفاقية، في حينه، نصراً للدبلوماسية الانكليزية التي استندت، في حربها ضد محمد علي، إلى دعم الدول الكبرى الموقعة على الاتفاق المذكور. لمزيد من التفاصيل أنظر: لوتسكي، **المصدر رقم ٧**، ص ١٤١ – ١٤٥.